المبحث الثاني

الاستعمار الجديد وأشكاله

ينتمي رودني إلى تيار فكري واسع النطاق على مستوى القارة ظهر في المرحلة التالية للاستقلال ليتصدى لدراسة بعد مهم من أبعاد العلاقة بين أفريقيا والغرب وهو ما أطلق عليه «الاستعمار الجديد». ويشترك معظم هؤلاء المفكرين في تحديد سمات هذه العلاقة التي يسيطر عليها الاستعمار الجديد بالتبعية الاقتصادية والتبادل اللامتكافئ وعدم استقلالية الدول في إدارة شؤونها الدولية، وسيطرة قيم مختلفة –وأحيانا متناقضة– على المجتمع، والجانب الأهم هو سلب الدول الاستقلال الفعلي ليصبح استقلالاً شكليًا وقانونيًا فقط، لتظل الدول تابعة للغرب في الكثير من المجالات.

وقد حاول رودني دراسة قضية الاستعمار الجديد متناولاً الأشكال المختلفة التي يأخذها، بل وحاول تقديم رؤى وتصورات لمواجهة هذا الشكل من الاستعمار، لذا خُصص هذا المبحث لمناقشة هذه القضية في فكر رودني كأحد الأبعاد المهمة في العلاقة بين الغرب وأفريقيا في الفترة التالية للاستقلال؛ وذلك للوقوف على طبيعة العلاقة بين الطرفين، وسيتم ذلك من خلال ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم الاستعمار الجديد وأسبابه.

المطلب الثاني: أشكال ومظاهر الاستعمار الجديد.

المطلب الثالث: آليات وسبل مواجهة الاستعمار الجديد.

المطلب الأول: مفهوم الاستعمار الجديد وأسبابه

حاول رودني أن يكُمل دراسته لطبيعة العلاقة بين أفريقيا والغرب من خلال دراسة سمات هذه العلاقة في الفترة التالية لحصول الدول الأفريقية على الاستقلال،

ويرى أن ذلك يتعلق بمدى قبول الدول الغربية بالمساواة التى فرضها القانون الدولى والناتجة عن كفاح الدول الأفريقية ضد السيطرة الغربية، وهل توجد للدول الأفريقية المؤهلات التى تمكنها من ممارسة اختصاصاتها وسيادتها بإرادة منفردة، وهل لديها الاستعداد لأن تمارس دوراً مستقلاً وتتخلى عن دور التابع على الساحة الدولية؟.

أولاً: مفهوم الاستعمار الجديد:

يرى رودنى أن القارة لم تخرج من سمات وخصائص المرحلة الاستعمارية، وأن ما حدث هو استبدال للفئة الحاكمة الاستعمارية بفئة تنتمى إثنياً للقارة، ولكنها تخدم مصالح غربية، ولذا يمكن القول بأن القارة مازالت قيد نمط جديد من الاستعمار هو الاستعمار الجديد[1].

ويعنى الاستعمار الجديد عند رودنى: «الاستقلال الشكلى للدول الأفريقية، فى حين تظل القوى المتحكمة والمؤثرة فى الحياة السياسية والاقتصادية من خارج القارة، وتظل السلطة فى يد فئة نشأت وتشبعت بالقيم الرأسمالية وهى البرجوازية الصغيرة Petit Bourgeoisie» والتى يشير إليها بالخادم المطيع لأهداف ومصالح الغرب[2]، كما يشير إلى أن جوهر الاستعمار الجديد هو فقدان الشعوب الأفريقية للقدرة على الاختيار بطريقة مستقلة، وفقدان الدول أيضاً الثقة فى قدرتها على القيام بدور مؤثر فى الشؤون الدولية، إذ يقول: «إن كان الشعب الأفريقي يرغب فى أن يحرر نفسه فإنه يجب عليه أن يأخذ فى اعتباره أن مرحلة استعمار واستعباد الدول الأفريقية كانت فى إطار النظام الرأسمالى، ولكننا خرجنا من إطار الرأسمالية، وأصبحت لدينا أدوات التحرير التى لا تعنى فقط الكفاح الوطنى، بل هناك الثورة

(1) Walter Rodney: People's Power, No Dictator. **Latin America Perspective,** Vol.8, No.1, Winter 1981, p.71 & 72.
(2) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.111.

الاجتماعية»[١].

ومن خلال تطبيق المنظور التاريخى فى تحليل الاستعمار الجديد يرى رودنى أن ظاهرة الاستعمار الجديد ليست بالممارسات الجديدة، مقارناً الممارسات التى تقوم بها الدول الغربية فى الفترة التالية لاستقلال الدول الأفريقية بالممارسات التى كانت سابقة على الاستعمار المباشر، بمعنى الممارسات التى كانت منذ الاتصال الأوروبى الأفريقي ومرحلة تجارة الرق، وأشار إلى أن أهم تلك الممارسات التى كانت قبل الاستعمار المباشر هو: الاستغلال الاقتصادى، والتبعية السياسية، والمحافظة على فئة حاكمة تخدم مصالح الغرب ومصالحها الخاصة، والتبادل الاقتصادى اللامتكافئ الذى يكون لصالح الغرب، والتبعية الثقافية التى تتمثل فى سيطرة القيم والسلع والثقافة الغربية، ويؤكد على أن هذا ما يحدث تقريباً بعد حصول الدول الأفريقية على الاستقلال أيضاً، ولذا يقول: «إن السوق والنظام العالمى الذى تم بناؤه على أساس من الاستعمار والرق سيحاول أن يجعل من اقتصادات دول القارة فى حالة تبعية دائمة»[٢].

ويرى رودنى أن للاستعمار الجديد العديد من المظاهر والنتائج لعل من أهمها: تركيز السلطة فى يد فئة أو طبقة قليلة العدد هى البرجوازية الصغيرة، وتغييب أوجه التعبير عن الرأى والمشاركة السياسية، وتأجيج الإثنيات، والتلاعب بأوجه الانقسام الأخرى بين جماعات المجتمع، ومؤسسية الفساد، وزيادة القهر والخداع السياسي، والحط من قيمة الثقافة الوطنية كأداة فى يد الطبقة الحاكمة، والتشويه المقصود والمدروس للمفاهيم الثورية فى المجتمع، والوقوف أمام محاولات تحقيق التنمية التى تجرى فى الدول الأفريقية[٣]، بل ويؤكد على أن العديد من الكوارث

(1) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.125.
(2) **Ibid,** p.126. & - وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ص ٣٧١-٣٧٧.
(3) Clive Thomas: **op.cit.,** p.7.

والتأخر التكنولوجى والكوارث الغذائية وتخلف الهياكل الإنتاجية وما يسببه من إهدار للموارد كان وراءها الاستعمار الجديد الذى يفسر العديد من تلك الأبعاد[1].

ثانياً: أسباب انتشار ظاهرة الاستعمار الجديد فى أفريقيا:

حاول رودنى تحليل أسباب انتشار الاستعمار الجديد فى أفريقيا بعد أن نجحت الدول الأفريقية فى الوصول إلى استقلالها بعد كفاح طويل، ويؤكد دائماً على أن الخبرات التاريخية هى الأساس ونقطة الانطلاق فى تفسير حدوث ذلك، إذ يقول: «إن الظروف التاريخية التى أُقحم فيها الأفارقة فى القرون الأخيرة قد غرست فى عقول هؤلاء الإخوة والأخوات السود مفهوماً تاريخياً بعينه، وحتى يتم تحطيم هذا المفهوم لابد أن ندخل فى اللعبة ونقول هذا ما قاله الإنسان الأبيض وهو غير صحيح، ونحن لنا ماضٍ ولنا تاريخ»[2]، ومن أهم تلك الأسباب التى أوردها رودنى:

(١) **غياب النماذج التاريخية:** حيث يرى رودنى أن وضع الأفارقة السيئ والتابع للغرب ينبع من عدم معرفة الأسس والقيم والثقافات التى كانت فى أفريقيا تاريخياً، ولذلك استجاب الإنسان الأسود للإحساس بالدونية، وتخلى عن قيمه لصالح منظومة قيمية تشجع على التبعية للغرب، إذ يقول: «علينا نحن كسود أن نحاول الاستفادة من التاريخ الأفريقي كأحد الأسلحة فى الكفاح على أرض الواقع...فقد وُضعنا فى وضع مثير للاستياء، وعلينا أن نعدل من وضعنا، ونحاول أن نثبت آدميتنا من خلال دراسة الأسلاف»[3]، ولذا فإن بداية التخلص من التبعية والقيم بما أطلق عليه رودنى «الثورة السوداء» يأتى من دراسة ومعرفة التاريخ والثقافات

(1) Walter Rodney: Toward Sixth Pan-African Congress....., **op.cit.,** p.739.
(2) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **Small Axe**, No.10, September 2001, p.66 & 67.
(3) **Ibid,** p.66.

الأفريقية التى كانت سائدة تاريخياً، وهذا ما حاول رودنى القيام به فى تدريسه لمقررات التاريخ والثورات فى الجامعة، أو فى المحاضرات العامة التى كان يلقيها[١].

(٢) التكوين الطبقى والفئات الحاكمة التى نتجت من الفترة الاستعمارية: لم تسمح القوى الاستعمارية بتكوين الطبقات الوطنية أو البروليتاريا الواعية، بل استخدم الغرب الانقسامات الإثنية واللونية، وتم تعميقها من أجل تخليد سيطرته ونفوذه، ووضع السلطة فى يد طبقة قامت على الأسس الرأسمالية، وهذا كله جعل من الصعوبة حدوث التطور السياسي أو تداول السلطة، إذ يقول: «تقديس العلاقات الإثنية تسبب فى أن تتحول العلاقة الاجتماعية بين العبد والسيد أو بين الرأسمالى والعامل إلى علاقة بين الأبيض والأسود»[٢]، ولذا حاولت الدول الغربية الحفاظ على البرجوازية الصغيرة التى ضمنت أنها تخدم مصالحها، بل وأحياناً تترك للدول الغربية التحكم فى سلطات الدولة[٣].

(٣) معاهدات واتفاقيات الاستقلال: والتى يرى رودنى أنها تضمنت العديد من البنود التى تكفل التبعية الاقتصادية المستقبلية، وتعطى حقوقاً للدول الغربية فى استمرار تدفق مواد خام بعينها، أو أن تكون لها قوات فى منطقة معينة بما يعنى استمرار بعض صور الاستعمار التقليدى، وحتى المعاهدات الدولية التى تمت بعد استقلال الدول أو التى كانت منشئة لهيئة أو منظمة بعينها كانت متحيزة لصالح الغرب[٤].

(٤) التخلف الاقتصادى والاجتماعى والسياسي فى الدول الأفريقية: بما يعنى أن فارق الإمكانيات لصالح الدول الغربية، فمع افتقاد الدول الأفريقية لمنطق الوحدة فى الحركة جعل من السيطرة عليها أمراً ممكناً، وقد تدخلت الدول الغربية للحيلولة

(1) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.117.
(2) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.114.
(3) Walter Rodney: People's Power, No Dictator, **op.cit.,** p.66 & 77.
(4) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.70.

دون الوصول لهذه الوحدة، إذ إن سيطرة الدول الغربية على السوق الرأسمالى العالمى، واحتكارها لصناعات بعينها، ولصنع القرار فى العديد من المنظمات الدولية والاقتصادية جعل من الدول الأفريقية فى حاجة دائمة للمعونات والاستثمارات والتكنولوجيا وأدوات الحماية التى يوفرها الغرب، وهى جميعها نماذج وأشكال للاستعمار الجديد[١].

إلى جانب تلك العوامل يرى رودنى أن الخبرة التاريخية من تجارة الرقيق والاستعمار والممارسات العنصرية كان لها تأثيرها أيضاً، ويؤكد على أن مبادئ هذه السياسة الاستعمارية الجديدة قد تم ترسيخها فى تلك الحقب التاريخية، ويؤكد أيضاً على أن القيم والمعتقدات التى تم نشرها فى التعليم والدين تجعل الأبيض الغربى الأفضل دائماً، ويرى أن محتوى هذه العملية التعليمية قد قام بتجهيز الأسود نفسياً لقبول الاستعمار الجديد؛ لأن القيم التى درسها وآمن بها تصوره إنساناً لا قدرة له، وأنه لابد أن يظل تابعاً للإنسان الأبيض[٢].

وقد قدم رودنى أيضاً دراسة لبعض النماذج التاريخية التى يرى أنها توضح الاستعمار الجديد، وكيف كان يتم ممارسته من الغرب، ومن هذه الأمثلة نظام الحكم فى جويانا وقت «فوربيس بورنهام» والذى ناقش رودنى أن استمراره فى السلطة كان بسبب الدعم البريطانى له، بل وأكد على أن بريطانيا تدخلت فى تغيير النظام الانتخابى حتى يبقى فى السلطة، مع أن النظم الانتخابية من التعبيرات الأساسية عن سيادة الدولة[٣]، وكذلك الهيكل الطبقى فى جاميكا واستمرار سوء حالة السود مع أن الحكومة هناك من السود، ولكنه يؤكد على أن هذه هى الهياكل الطبقية التى ورثتها النظم الحاكمة، وورثت معها السياسات التى يجب أن تتبعها، ولذلك لم

(١) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.123.

(٢) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ص ٣١٣-٣٤٠.

(٣) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.122 & 123.

يتغير شيء[١]، فى حين يبدى رودنى إعجابه وتقديره لأهمية النموذج الذى قدمته تنزانيا فى اتباعها للأوجاما Ujama ، وكذلك النموذج الكوبى، ويرى أن هذين النموذجين قد رفضا الموروث الاستعمارى لصالح إبراز الهوية الوطنية من خلال نماذج تنموية ونظم حكم تمثل خروجاً عما قدمه الغرب[٢]، ويؤكد على عدم استقلالية الدول الأفريقية فى إدراة اقتصادها الوطنى، وأنه لم تتشكل بعد الطبقات الوطنية التى يمكن أن تقود حركة الاستقلال الفعلى وليس الشكلى، إلى جانب دور الاستثمارات الأجنبية والشركات المتعددة الجنسيات التى تقوض إرادة الدول فى الاستقلال باقتصادها الوطنى، ويعول رودنى أيضاً على طبيعة البرجوازية الصغيرة التى لم تكن لها النزعة التقدمية للخروج عن النماذج التنموية التى ورثتها عن الفترة الاستعمارية[٣]. وذلك ما كان يشكل بداية منطقية للاستعمار الجديد وتنوع أشكاله.

المطلب الثانى: أشكال ومظاهر الاستعمار الجديد

يؤكد رودنى على فكرة رفض الدول الغربية للمساواة القانونية التى حصلت عليها الدول الأفريقية بعد كفاحها طيلة عقود من القرن العشرين، لذا حاول الغرب أن يستخدم الإرث الاستعمارى والخبرة التاريخية فى الحفاظ على علاقة التبعية من الدول الأفريقية بآليات عدة فى المجالات التالية:

أولاً: فى المجال الاقتصادى:

من أهم المجالات التى حاولت الدول الغربية أن تحافظ على تبعية الدول الأفريقية لها فيها المجال الاقتصادى؛ إذ أفقد الغرب دول القارة القدرة على تحقيق تراكم رأسمالي يضمن لها الاستقلال فى إدارة اقتصاداتها بعد الاستقلال، بل ويرى

(1) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.52 & 53.
(2) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** pp.67-70.
(3) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.117 & 118.

رودنى أن عدم السماح بنمو القطاع الصناعي، وبقاء الدول الأفريقية فى الغالب مصدراً للمواد الخام من أشكال الاستعمار الجديد، ويؤكد على أن ذلك لم يسمح بالنضج الطبقى للقارة، فضلاً عن حجم التدفقات والأرباح للغرب من جراء ذلك، ومن فارق أسعار المواد الخام والمواد المصنعة التى تستوردها معظم دول القارة، مؤكداً على أن ذلك كان مسؤولاً عن تر جع قيم العمل والتخصص التى سبقت الإشارة إليها لصالح قيم تبعث على التبعية وشرذمة المجتمعات الأفريقية[1].

ومن السمات الأساسية التى يقدمها رودنى والدالة على حالة التبعية الاقتصادية هى أن التنمية والإنتاج من اقتصادات الدول الأفريقية فقط كانت عبارة عن استجابة لمتطلبات السوق الرأسمالى العالمى وليس استجابة لمتطلبات الشعب الأفريقي، ويؤكد على أن ذلك سيكون أثره: «إحداث تدمير خطير فى تلك الاقتصادات... كما أن التنمية ستكون حدثاً عرضياً، وسوف تترك أغلب السكان غير مشاركين فى النشاط الاقتصادى، وكما زاد استثمارنا فى فروع التصدير من أجل السوق العالمية سيزداد انحرافنا عن الاستثمار من أجل تنمية الشعب»[2]، وهو ما يعنى تشويه الاقتصاد الوطنى لخدمة الاقتصاد الرأسمالى العالمى، والذى يؤكد رودنى على استخدامه للمؤسسات الدولية فى إحداث واستمرار حالة التبعية.

ويعتبر دعم الرأسمالية لفئات حاكمة بعينها هو لخدمة المصالح الرأسمالية الاقتصادية التى جعلت للطبقة الحاكمة مصلحة تتعارض مع مصالح الشعب كاملاً، ويؤكد على دور الفئة الحاكمة فى تسهيل نهب الشركات الأجنبية للموارد واستغلال الثروات الأفريقية، وأن ذلك يعد من أهم مظاهر التقاء المصالح بين الرأسمالية العالمية وبين الفئة الحاكمة التى ارتضت فى بعض الأحيان بالسيطرة الاقتصادية، وترك الكثير من الممارسات والاختصاصات والأدوار والوظائف

(١) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ص ٣٠١–٣٠٦ و٣٠٩ و ٣١٤.

(٢) م. س.، ص ٣٧٤.

السيادية فى يد هيئات أجنبية لكى تضمن بقاءها فى السلطة بدعم غربى[1].

ثانياً: فى المجال السياسي والأمنى:

قدم رودنى العديد من المظاهر الدالة على الاستعمار الجديد فى المجال السياسي والأمنى من أهمها:

(١) **تركيز السلطة فى يد البرجوازية الصغيرة:** فكما سبقت الإشارة فإن تلك البرجوازية ورثت نظم الحكم الاستعمارية فى السياسات التى يتم اتباعها، ولذا يؤكد على أن سياسات الاستعمار الجديد تحتوى على جزء تآمرى[2]، فقد كان تسليم السلطة لفئة تم تكوينها وتعليمها وتشبعها بالقيم الغربية يهدف إلى تأجيل أو تحطيم إمكانية حدوث الثورة العامة فى أفريقيا، وأن تظل تلك الفئات الحاكمة تابعة هى وسياساتها وقيمها ونماذج التحول التى تتبعها لنماذج غربية[3].

(٢) **تدمير أوجه المشاركة السياسية:** فقد غرس الاستعمار العديد من القيم والممارسات التى تنأى بالفرد بعيداً عن المشاركة فى تكوين التوجهات الفكرية أو الثورة السياسية أو التغيير الاجتماعى[4]، ولذا يعيد رودنى التأكيد على افتقاد الافراد الثقة فى قدرة الآليات الانتخابية والطرق السلمية فى إبعاد فئة تحظى بقبول وتأييد غربى، ولكن البداية عند رودنى تكون من خلال الأدوات السلمية لإحداث هذا التغيير، وإن لم تنجح فى الوصول للهدف المبتغى منها يكون اللجوء بعدها للطرق الثورية والعنف الذى يصبح مشروعاً فى هذه الحالة[5].

(٣) **التلاعب بالإثنية وأوجه الانقسام بين الشعب:** حيث يؤكد رودنى على أن

---

(1) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.118 & 122. **&** - Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.128.

(2) Clive Thomas: **op.cit.,** p.7.

(٣) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ٣١٩ و ٣٤٠.

(4) Clive Thomas: **op.cit.,** p.7. **&** - Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.126.

(5) Alex Dupuy: **op.cit.,** p.111.

شعوب القارة لم تدرك خطورة وإمكانية استخدام هذه الانقسامات فى الفترة السابقة على الاتصال الأوروبى، ولم تعرف الحروب على أساس إثنى، ولكن الغرب اتبع سياسة «فرق تسد» حتى يسهل له الحكم والتحكم فى أفريقيا، لذا حاولت الدول الغربية الحفاظ على هذه الانقسامات فى الفترة التالية للاستقلال لتكون أداة لإضعاف التكوين الطبقى، وكذلك حتى يسهل عليها التدخل فى شؤون هذه الدول، ولذا يرى رودنى أن الحل هو فى الحركة الجماهيرية الموحدة، والابتعاد بالإثنية عن أساليب إدارة الغرب بما يسهل من وحدة الحركة[1].

(٤) **مؤسسية الفساد**: لقد سمح الاستعمار بانتشار الفساد فى الدول الأفريقية فى كافة الأجهزة ليحقق عدة أهداف دفعة واحدة، فمن جهة يسهل على الفئة الحاكمة وأتباعها السيطرة على القوة الاقتصادية، فى حين تظل أغلب فئات الشعب تعانى من الفقر بما يسمح بالصراعات والانقلابات للسيطرة على السلطة والثروة، وفى ظل هذا الوضع يستطيع الغرب أن يتدخل، وأن يكون أيضاً فى صالح النهب المنظم للموارد من خلال الاستثمارات الأجنبية أو الشركات المتعددة الجنسيات، وتظل الدول الأفريقية قيد الصراعات الداخلية[2].

(٥) **زيادة الكبت والخداع السياسي**: ومن مظاهر ذلك الوصول للسلطة بطرق لا تعبر عن الشرعية، والاعتماد على الدعم الغربى واستخدام أدوات القهر داخل الدولة للبقاء فيها، واستخدام أدوات الحكم فى خدمة فئة أو جماعة بعينها[3].

(٦) **التشويه المدروس للمفاهيم الثورية**: لقد رفضت النظم الاستعمارية ومن خلفها البرجوازية الصغيرة المفاهيم الثورية التى يمكن أن تقود للتحول والتغيير الراديكالى فى المجتمعات محاولة أن تستبدل تلك بمفاهيم تسهل السيطرة، وتُعلى من

(1) Clive Thomas: **op.cit.,** p.7 & 8.
(2) **Ibid,** p.6 & 7.
(3) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.53. & - Clive Thomas: **op.cit.,** p.7.

قدر القيم الرأسمالية، ويؤكد رودنى على أنه لا حياة بدون الكفاح السياسي فى الدول الأفريقية والذى يصل إلى حد الثورة الاجتماعية[1].

ثالثاً: فى المجال الثقافى والاجتماعى:

قدم رودنى العديد من مظاهر الاستعمار الجديد فى المجال الثقافى والاجتماعى من أهمها:

(١) **التعليم وطبيعته:** إذ أكد على أن التعليم من المجالات الأساسية التى نرى فيها مظاهر الاستعمار الجديد من حيث الأدوات التى يتم بها التدريس لأبناء القارة، وكذلك محتوى تلك العملية الذى يعكس القيم الرأسمالية الغربية[2]، ويرى أن هدف التعليم كان خلق فئة تخدم مصالح الغرب، ولذلك كان إصراره على وطنية العملية التعليمية، ووطنية المؤسسات التى تقوم بها[3].

(٢) **الحط من قيمة الثقافة الوطنية:** وإعلاء قيم ومبادئ الرأسمالية، حيث يؤكد رودنى على أن أخطر أوجه الاستعمار الجديد تتمثل فى اتباع المثقفين لتيار يؤيد القيم الرأسمالية، والعمل بالبحث فى القضايا والأمور التى تتعلق بالرأسمالية، وترك قضايا ومشكلات مجتمعاتهم، ولذا يؤكد على أن نهاية الاستعمار الجديد ثقافياً تكون بتحرر هؤلاء المثقفين من الاستعمار الفكرى الغربى، وأن يصبح اهتمامهم بقضايا الواقع الأفريقي[4].

(٢) **التقسيم الطبقى والعلاقة بين الطبقات:** لا يقوم هذا التقسيم الطبقى على أساس من النشاط الاقتصادى، بل هو تقسيم غربى يعكس التقسيم العالمى بين الدول الرأسمالية الغربية وأفريقيا، وينعكس ذلك فى التقسيم الطبقى داخل معظم

(1) Clive Thomas: **op.cit.,** p.7 & 11-13.
(2) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.**, p.69.
(3) Bonaventure Swai: **op.cit.,** p.36 & 37.
(4) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.126 & 127.

الدول الأفريقية، وهو يؤكد على أن التقسيم الطبقى على أسس ومعايير تسهل الصراع، وتعطى الأفضلية للفئات التى تخدم مصالح الغرب، ولم يسُمح بنشأة الطبقات الوطنية التى تنتهج نهجاً تنموياً استقلالياً[1].

(٣) العنصرية: يؤكد رودنى على أن الرأسمالية تجد فى العنصرية تبريراً للعديد من الممارسات التى تقوم بها، ومع انتهاء أساطير عبء الرجل الأبيض، ورسالة التنوير التى كانت عبارة عن ادعاءات لتبرير استعمار القارة، ظلت الرأسمالية ترفع شعارات التقدم والتنمية عن طريق الرأسمالية، وأن الأخيرة هى السبيل الوحيد للتنمية السياسية والاقتصادية، وكأن الرأسمالية تحمل رسالة تنوير العصر الحديث للقارة، ويؤكد رودنى على أن ذلك من مظاهر الاستعمار الجديد ثقافياً[2].

إلى جانب هذه المظاهر يؤكد وولتر رودنى على العديد من العوامل التى ساعدت وسهلت هذا النمط من الاستعمار الجديد ومنها عدم اهتمام الأفارقة بدراسة تاريخ الثقافات الأفريقية التى تثبت أنهم الأفضل تاريخياً، إلى جانب ضرورة الوعى بالخبرات التاريخية ونظم الحكم التى تجعل القيم الرأسمالية هى الأجدر بأن تُتبع، وكذلك افتقاد التيارات الفكرية التى تحاول أن تصل إلى نموذج قيمى أفريقي يقوم على أساس من الثقافة الأفريقية.

وقد حاول رودنى من خلال مناقشته لمظاهر الاستعمار الجديد أن يقف على أوجه الاختراق الغربى للقارة الأفريقية فى مختلف الأوجه والمجالات، كما حاول أيضاً مناقشة السبل والآليات التى يمكن من خلالها التصدى لهذا النمط من الاستعمار.

(1) Alex Dupuy: **op.cit.**, pp.110-112. & - Trevor Campbell A.: **op.cit.**, p.54.
(2) Horace Campbell: Philosophy and Praxis: the Life and Work of Walter Rodney,**op.cit.**, p.14.

المطلب الثالث: سبل وآليات مواجهة الاستعمار الجديد

يؤكد رودنى على أن مواجهة الاستعمار الجديد أصبحت أكثر صعوبة، وتحتاج إلى جهود وآليات تربو على تلك التى استُخدمت لمواجهة الاستعمار فى شكله التقليدى المباشر، وقد تأثر رودنى بالعديد من مفكرى القارة الأفريقية الذين تناولوا حاولوا مناقشة قضية الاستعمار الجديد وبخاصة الرئيس الغانى كوامى نكروما ورؤاه وتصوراته التى قدمها حول الاستعمار الجديد وسبل مواجهته، وقد قدم رودنى العديد من الرؤى التى يمكن استخدامها لمواجهة الاستعمار الجديد ومن أهمها :

أولاً: مواجهة الاستعمار الجديد فى المجال السياسي والأمنى:

إذا كان الاستعمار الجديد فى فكر رودنى يبدأ من التبعية الاقتصادية، فإن مواجهة هذا النمط من الاستعمار تبدأ من المجالات السياسية والأمنية، لذا قدم العديد من الرؤى والتصورات التى تعالج ما فى المجال السياسي والأمنى من عدم استقلالية، ومن أهمها:

(١) **استقلالية قرارات البرجوازية الصغيرة أو التخلص منها**: إذ يؤكد رودنى على أن الاستعمار الجديد سوف يستمر طالما استمرت البرجوازية الصغيرة فى اتباع نفس سياساتها فى الحكم، وتنبأ بأنه طالما استمرت هذه الفئات فى الحكم فسوف تستمر فى خدمة مصالح من قام بوضعها على سدته، بل أكد على تحول أغلب النظم التى تتبع هذا الأسلوب إلى الديكتاتورية مستخدمة أجهزة ومؤسسات الدولة فى خدمة مصالح فئة بعينها[1]، لذا حاول تقديم الرؤى التى يمكن من خلالها التصدى لسياسات هذه الفئات، فقام برفع شعار «الخبز والعدل» قاصداً به «التنمية والعدالة الاجتماعية »، وكذلك كان يؤكد «لا ديكتاتور، قوة الشعب، القوة كاملة للشعب»،

(1) Alex Dupuy: **op.cit.,** pp.122-124.

داعياً إلى حركة اجتماعية واسعة النطاق تشمل كافة الجماعات فيما يطلق عليه «الجبهة الموحدة»، بمعنى أن تصل الإثنيات إلى درجة من التنظيم الذاتى تكون هى البداية لتحرير كافة الجماهير، ويؤكد رودنى على أن الجماهير وحدها هى التى تستطيع أن تقف أمام نظام الحكم «الخادم المطيع» للغرب، ولكن يجب أن تكون حركتها موحدة حتى تسقط حكم الاستعمار الجديد[1]، وقد دعا رودنى إلى أن يتم توجيه الثورة السوداء ضد هذه الفئات الحاكمة مثلما توجه ضد الرأسمالية.

(٢) مؤسسية الحركة الجماهيرية: أكد رودنى على ضرورة أن تكون الحركة الجماهيرية السابق الإشارة إليها بشكل مؤسسى تنظيمى حتى تستطيع أن تصل إلى الهدف الذى تسعى إليه، وكان تأسيس ائتلاف الشعب العامل WPA رغبة منه فى أن يكون وسيلة وأداة توحيد الطبقة العاملة دون النظر إلى الانتماءات الأخرى، وليكون نموذجاً لمؤسسية الحركة الجماهيرية[2]، ويرى أن الحركة الغوغائية للجماهير لا تستطيع أن تهزم الاستعمار الجديد، إذ لابد لها أن تصبح فى شكل مؤسسى منظم، ويرى أنه بالنجاح فى الوصول إلى هذه الدرجة من التنظيم، وباستخدام الثقل العددى للجماهير والحقوق السياسية التصويتية تستطيع التصدى لمثل تلك البرجوازيات، وأن تأتى بالجماعات التى تحقق لها الاستقلالية بذات الأساليب والأدوات التى ينادى بها الغرب، وإن لم تستطع إدراك هذا الهدف تصبح الثورة والعنف هى البدائل لهذه الحركة الجماهيرية المنظمة[3]، لكنه أكد على أهمية استخدام الثقل العددى الجماهيرى، مؤكداً على أنه: «من المعروف أنه بسبب أننا شعب مقهور لا يمكن لنا أن نحمل سلاحا يسهم فى تحريرنا...لكن علينا أن ندرك أن الحرية الأفريقية لا يمكن الحصول عليها دون بناء عناصر إيجابية فى تاريخ العنصر

(1) Clive Thomas: **op.cit.,** p.8. & - Walter Rodney: Toward Sixth Pan African Congress....., **op.cit.,** p.732.
(2) Horace Campbell: Walter Rodney: A biography and Bibliography, **op.cit.,** p.134.
(3) Clive Thomas: **op.cit.,** p.8, 9, 12, & 13.

البشرى»[1].

(٣) **الوحدة السياسية كسبيل لمواجهة الاستعمار الجديد:** من الأدوات التى أكد رودنى على أهمية استخدامها لمواجهة الاستعمار هى ضرورة الوحدة سواء بين الجماهير أو بين الدول الأفريقية، ولكنه أكد على الوحدة على المستوى الرسمى بين الدول لتكوين وحدات سياسية أكبر حجماً لها قدرات وموارد وثقل سياسي يفوق ما لهذه الوحدات منفردة، وستأتى مناقشة قضية الوحدة فى فكر رودنى لاحقاً، لكننا نؤكد هنا على رؤية رودنى بضرورة انسحاب الأجهزة القضائية والعسكرية الغربية التى ورثتها المستعمرات حتى تستطيع هذه الدول أن تدرك الحرية كاملة، وأن تتحرك نحو الوحدة، كذلك استقلالية الدول فى إدارة شؤونها الخارجية وخصوصاً البينية منها أى التى بين الدول التى كانت مُستعمرة فى وقت سابق[2].

ومن المبادىء المهمة أيضاً التى أكد عليها رودنى هى حرية «الاختيار الأيديولوجى» رافضاً الرأسمالية وأدواتها السياسية، وداعياً إلى التحرر النفسى للأفارقة من خلال اتباع الاشتراكية[3].

ثانياً: فى المجال الاقتصادى:

يؤكد رودنى على أن الدول الأفريقية لاتزال غير مستقلة فى إدارة واستغلال مواردها الخاصة، ويفسر ذلك فى ضوء خضوع هذه الدول لشركات واستثمارات بل ومؤسسات دولية تخدم مصالح دول بعينها؛ لذا حاول تقديم الرؤى التى يمكن من خلالها مواجهة هذا التغلغل الاقتصادى، ومن أهمها:

(١) **الاشتراكية كأيديولوجية تنموية:** وهذا ما سبقت الإشارة إليه فى رفض رودنى للرأسمالية كأيديولوجية تنمية، ورفض أدواتها فى إدارة الاقتصاد، مؤكداً على

(1) David Renton: **op.cit.,** p.152.
(2) Clive Thomas: **op.cit.,** p.5 & 6. & - Bonaventure Swai: **op.cit.,** p.37.
(3) Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.126. & - Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.57 & 58.

أن الرأسمالية هي الاستعمار فى شكل جديد، حيث يقول: «نسعى نحن - الماركسيين- إلى تكوين مجتمع جديد للعلاقات الإنسانية أفضل من المجتمعات التى اعتدنا عليها...ونشعر بأن الاشتراكية ومفاهيمها المختلفة – حتى مع اختلاف المقصود بهذه المفاهيم- هى السبل التى يمكن من خلالها تحقيق ذلك»[١]، مؤكداً على أن الرأسمالية قد جعلت من الدول مجرد تابع اقتصادى ومصدراً للمواد الخام، ولذا فإن تحقيق التنمية فى المجتمع الغربى يرتبط دياليكتكياً بالتخلف واستمرار تبعية الدول الأفريقية[٢]، ولكنه سعى إلى إضفاء الطابع والسمات الأفريقية على الاشتراكية التى سوف تأخذ بها أفريقيا.

(٢) **تنوع مجالات وقطاعات التنمية:** حتى تتخلص الدول الأفريقية من موقف التابع للرأسمالية العالمية، وموقف الشريك غير المتكافىء فى التبادل الاقتصادى يجب أن يتم تنوع مجالات التنمية، وبشكل أساسى التنمية فى المجالات الصناعية التى تحقق فائض قيمة أعلى، وأن ترفض تخصصها فى السلع الزراعية أو المواد الخام[٣]، وأكد رودنى على ضرورة أن تكون التنمية الصناعية لإشباع الاحتياجات المحلية، وليس استجابة للسوق الرأسمالى العالمى[٤]، إلى جانب تطور الزراعة وأدواتها وأهدافها.

(٣) **استقلالية إدارة الموارد:** حتى تستطيع الدول أن تستقل فى إدارة شؤونها الداخلية والخارجية، وتوفير الموارد التى تمكنها من تحقيق التنمية ومواجهة الاستعمار الجديد فإنه لابد لها أن تستقل فى إدارة مواردها الخاصة، ويؤكد على أن

---

(1) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.56.

(2) Walter Rodney: **the Groundings with My Brothers** (London: Bogle-L'Ouverture Publications, 1969). p.112.

(٣) كوامى نكروما، عبد الحميد حمدى (مترجم): **الاستعمار الجديد آخر مراحل الإمبريالية** (القاهرة: دار القاهرة للطباعة النشر، ١٩٦٦)، ص ص ٢٩٨ – ٣٠٨.

(٤) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ٣٥ و ٣٧٣-٣٧٦.

تدخل الرأسمالية فى إدارة هذه الموارد سيكون السبب فى استخدام مشوه للموارد لصالح فئة بعينها ولخدمة مصالح الرأسمالية، ولذلك كان رودنى يبدى تقديره للأوجاما كنموذج تنموى يمثل خروجاً على النماذج التنموية التى تقدمها الرأسمالية، منتقداً كذلك المجتمع الجامايكى فى تعامله مع الشعب الأسود مع أن الحكومة سوداء فى الأساس، لكنها تظل فى حالة تبعية تامة[1].

(٤) **رفض المعونات والمساعدات والاستثمارت الأجنبية:** يرى رودنى أن جميع تلك الأشكال تمثل أدوات للرأسمالية العالمية، وتستطيع الأخيرة من خلالها التغلغل وتقويض استقلالية الدول فى إدارة اقتصاداتها، وكذلك الشركات المتعددة الجنسيات التى تبغى مصلحة دول غربية بعينها[2].

وبالرغم من أن حياة رودنى لم تستمر لما بعد الحرب الباردة، وما ترتب على ذلك من تراجع الاشتراكية وانفراد الرأسمالية كنموذج تنموى شبه مفروض على دول العالم المختلفة وبخاصة أفريقيا، لكنه تنبأ بالعديد من المظاهر التى سادت بعد الحرب الباردة، وناقش أيضاً «أزمة الرأسمالية العالمية» والتى سوف تظهر من نشاط أضعف الطبقات وأكثرها قهراً فى الرأسمالية وهى الطبقة العمالية، والتى ستكون السبب فى نهاية الرأسمالية وسيطرتها، وهذا ما يفسر لنا نشاط رودنى الواسع فى رفع مستوى وعى العمال.

ثالثاً: الأدوات الثقافية والاجتماعية لمواجهة الاستعمار الجديد:

يرى رودنى أن تحقيق الاستقلال الحقيقى ومواجهة الاستعمار الجديد بأشكاله المختلفة لن يكون مجدياً سوى فى حالة نجاح الدول فى الاستقلال الفكرى والثقافى، ولذا قدم رودنى عدة أدوات لتحقيق ذلك من أهمها:

---

(1) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** pp.12-15.

(٢) وولتر رودنى: ، م. س. ذ.، ص ص ١٧٤-١٧٦ و٢١٢ و ٢٨٦ و ٣٧٠-٣٧٣.

& - Walter Rodney: People's Power, No Dictator, **op.cit.,** p.77.

(١) **التعليم وأهميته**: وهو ماسبقت الإشارة إليه من ضروة تناسب التعليم مع الواقع الأفريقي، وأن يناقش محتوى هذه العملية التعليمية القضايا والمشكلات الأفريقية[١].

(٢) **دور المثقفين**: وهم من الفئات الأساسية التى يؤكد رودنى على أهمية دورهم فى قيادة حركة التحرير الجماهيرية من القيم والمعتقدات الرأسمالية، ولكن نقطة البدء هى أن يتحرر هؤلاء المثقفون من سيطرة القيم الرأسمالية عليهم، فقد غيرت الأخيرة من القيم والطموحات والاهتمامات والأولويات البحثية لهذه الفئة[٢]، ولذلك يرى أن إدراك هذه الفئة لهذه التبعية الثقافية والتخلص منها، والاهتمام بالتثقيف الشعبى ورفع مستوى الوعى الجماهيرى من الآليات المهمة فى مواجهة الاستعمار الجديد[٣].

(٣) **القوة السوداء**: وهى أيديولوجية لونية تغييرية ينظر إليها رودنى على أنه يمكن أن يتم توجيهها لمواجهة أشكال الاستعمار الجديد الثقافية، فهى: «عقيدة للشعب الأسود، وهى عن الشعب الأسود، ويتم التبشير بها بواسطة الشعب الأسود»، وهى رد فعل على القوة البيضاء، وتهدف لإعادة هيكلة المجتمع الأسود فى مواجهة الإمبريالية البيضاء، وهى بذلك: «اعتراض على اليأس وسياسة عدم فعل شيء حتى يتم إيقاف استغلال الإنسان الأبيض للإنسان الأسود...تأمل فى القوة على المستوى العالمى فى المستقبل»[٤]، وستأتى مناقشة القوة السوداء تفصيلاً فى الفصل الثالث من الدراسة.

(٤) **التاريخ ومواجهة الاستعمار الجديد**: حتى يستطيع الإنسان الأفريقي أن يتصدى للقيم والثقافة الرأسمالية لابد أن تكون له معرفة بالمرجعية التاريخية

---

(١) وولتر رودنى: م. س. ذ.، ص ص ٣١٣-٣٤٠.

(2) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.52 & 56.

(3) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.35. & Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.67.

(4) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.16 & 20.

والثقافية التى له، ويصبح للنماذج التى يدركها الأفريقي من التاريخ عظيم الدور فى مواجهة الإمبريالية الثقافية[١]، ولذا اهتم رودنى بالمطالبة بتدريس التاريخ الأفريقى لأبناء القارة حتى من هم فى الكاريبي للترابط الثقافى، وإيجاد المرجعيات الثقافية، بل وطالب بتدريس اللغات الأفريقية الأصلية للحفاظ على الامتداد الثقافى[٢].

(٥) النضج الطبقى: سمح هيكل الطبقات الذى وجد بعد الاستعمار بإمكانية التغلغل واستمرار السيطرة الرأسمالية، فلم تكن هناك الطبقات الوطنية التى تضمن تحقيق كامل الاستقلال، ولم تبن الطبقات على أساس من النشاط الاقتصادى، لذلك يؤكد رودنى على أن التطورالاقتصادى والتنمية التى ستحدث فى القارة، واستقلال القارة فى إدارة شئونها الاقتصادية سيفرزان طبقات وطنية تسعى للوقوف ضد محاولات التغلغل الغربى فى القارة[٣].

إذن، حاول رودنى التصدى بالتحليل لقضية الاستعمار الجديد وأشكاله وأدواته، محاولاً أيضاً تقديم الرؤى والتصورات التى يمكن أن تشكل إطاراً لمواجهة هذا النمط من الاستعمار والذى يراه رودنى أخطر من الشكل التقليدى للاستعمار، ويحتاج إلى جهد وكفاح وتنظيم ووقت يفوق ما قامت به القارة فى مواجهة الشكل التقليدى، وقد أكد على أهمية أن تكون للأفارقة القدرات السياسية والاقتصادية والثقافية التى تمكنهم من مواجهة هذا الشكل، ولذا اتخذ من التاريخ والخبرات التى مر بها مرجعية وأساساً تحليلياً لهذا الشكل من الاستعمار، بل وأكد على النماذج الثقافية التى كانت سائدة والتى ستشكل أداة رفض للرأسمالية، وستكون رموز مهمة يمكن الارتكان إليها فى تحقيق الوحدة الأفريقية ومواجهة أساليب وأدوات وقوة وممارسات الاستعمار الجديد.

(1) Walter Rodney: African History in the Service of Black Liberation, **op.cit.,** p.69.
(2) Walter Rodney: the Groundings with My Brothers, **op.cit.,** p.35 & 36.
(3) Trevor Campbell A.: **op.cit.,** p.58. **&** - Viola Mattavous Bly: **op.cit.,** p.126.